



HAL
open science

Salem Khchoum

► **To cite this version:**

Salem Khchoum. . Ecriture et Douleur, Institut Supérieur des Etudes Appliquées en Humanités de Gafsa-Tunisie, Apr 2021, Gafsa, Tunisia. pp.48-63. <hal-04127809>

HAL Id: hal-04127809

<https://hal.science/hal-04127809>

Submitted on 23 Jun 2023

HAL is a multi-disciplinary open access archive for the deposit and dissemination of scientific research documents, whether they are published or not. The documents may come from teaching and research institutions in France or abroad, or from public or private research centers.

L'archive ouverte pluridisciplinaire HAL, est destinée au dépôt et à la diffusion de documents scientifiques de niveau recherche, publiés ou non, émanant des établissements d'enseignement et de recherche français ou étrangers, des laboratoires publics ou privés.

Copyright

أنا موجوع، إذاً أنا موجود

سالم أخشوم

جامعة لومبير- ليون 2- Univ-Lyon 2

مركز البحث في اللسانيات التطبيقية (Cerla)

تقديم

أظني أوجعت بهذا العنوان كثيرًا من مرهفي الحسن الاشتقاقي، ولا شك أن وجعهم أشدّ مضاضةً لصدوره عن ذي قربي في الاشتغال بالعربية وعلومها. فمعلوم لديهم ولديّ أنّ صيغة «موجوع» ليست الصواب الصّرفيّ الفصيح بل هي من الاشتقاق اللهجيّ حيث للفعل المجرد «وَجَع» قيمةً جعليّةً في نفسه يتعدّى بها ولا يحتاج معها إلى إدخال الألف عليه. أما في الفصحى، فاشتقاق اسم المفعول من المتعدّي «أوجع» «موجع»، كما هو معلوم. ولقد نبّه على هذا اللحن الذي ركن إليه حتى بعض الشعراء من طراز ابن شقشق:

فَالرَّيْعُ مَفْجُوعٌ بِقُطَانِهِ ... وَالْقَلْبُ مَوْجُوعٌ بِأَشْجَانِهِ¹

وهو ليس من طراز صاحب:

خُلِقْتُ أَلَوْفًا لَوْ رَحَلْتُ إِلَى الصُّبَا ... لَفَارَقْتُ شَيْبِي مَوْجَعِ الْقَلْبِ بَاكِيًا²

ابن مكي الصقليّ (ت 501 هـ) في «تنقيف اللسان وتلقيح الجنان»³ الذي ينبّه كذلك إلى أن بناء «مألوم» خطأ صوابه «مؤلّم»، وكذلك ابن هشام اللخميّ (ت 577 هـ) في «المدخل إلى تقويم اللسان»⁴، وحديثًا، أحمد مختار عمر في «معجم الصواب اللغوي»⁵ الذي، وإن رفض اشتقاق اسم المفعول من الثلاثيّ اللّازم، قبل اشتقاق اسم المفعول «موجوع» من «وَجَع» في قولهم «وَجَع فلانُ رأسَهُ وبطنَهُ»⁶. لكننا على رأي الفراء، الكوفيّ، الذي أورده صاحب اللسان، لا نرى (رأسَهُ وبطنَهُ) مفعولًا بل مفسّرًا أي تمييزًا رغم أنّهما ليسا نكرتين كما يجدر بالمفسّرات أن تكون، وهذا نادر معدود. وأورد صاحب اللسان غير هذا

¹ ابن الدمياطي، أبو الحسين أحمد، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1997، ص82.

² المتنبي، أبو الطيّب الحسين، الديوان، دار الجيل-بيروت، د.ت، ص 442.

³ ابن مكي، أبو حفص عمر، تنقيف اللسان وتلقيح الجنان، ضبط مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، 1990، ص 132.

⁴ ابن هشام اللخميّ، أبو عبد الله محمّد، المدخل إلى تقويم اللسان، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار ليشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، 2003، ص 295.

⁵ مختار عمر، أحمد، معجم الصواب اللغوي دليل المتقف العربي، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص 741.

الرأي دون أن يرفعه إلى مجتهده بعينه مرجحاً أنه رأي بصريّ لقول البصريين إنّ «المفسّرات لا تكون إلا نكرات»، فقالوا: «إنما نصبوا وجعت بطنك بنزع الخافض منه كأنه قال وجعت من بطنك، وكذلك سفهت في رأيك». (اللسان، مادة وجع)

ولكنه في عنوان هذه المقالة يبرّزه التجنيس والتناصّ مع عبارة ديكرت المشهورة من ناحية، ومن ناحية أخرى ما سنحاول الكشف عنه من علاقة بين الأصلين «وجد» و«وجع» لفظاً ومعنى. ثم إنّ لفت النظر إلى مسألة ما يقتضي أحياناً بعض الوخز المنبّه من غفلة الشرود إلى يقظة الوجود.

الإطار النظري للبحث

لهذا المبحث إطار نظريّ يتعلّق بدراسة الجانب الدلاليّ (المدلولات) وآخر شكليّ يتعلّق بالأصوات الدوّالّ، والإطاران متضامنان فلا وجود لدالّ بلا مدلوله، ولا لمدلول بلا دالّ عليه. ولقد قدّمنا المعاني على الألفاظ لأنّ الألفاظ «حدّم للمعاني، وتابعة لها، ولا حقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق».⁷

أ. الإطار الدلاليّ

قبل العودة إلى مبحث الاستعارة التصرّوية في علم اللسانيات العرفانيّة الحديث لرسم الإطار النظري الدلالي لما نروم، لعننا نجد في ملاحظة اليسوعيّ الفرنسي بول جؤون (1871-1940) المتخصص في العبرانية واللغات السامية إطاراً دلاليّاً للتمهيد لإعادة بناء العلاقة الدلاليّة بين الوجود والوجود. فقد لاحظ في مقاله «دراسات في الدلالة العربية، 1926, Études de sémantique arabe» أنّ «أبسط الأشياء وأشدّ أحداث الحياة اليومية رتبة معيّن لا ينضب من المفاهيم المجردة» (جؤون، 1926 : 6)⁸. وهو لا يقصد بذلك إلا ما يميّز اللغة من التوسّل بألفاظ الوقائع المحسوسة لتصور المعقولات أو المفاهيم المجردة، بل إنّنا لا نبالغ إذا قلنا إنّ ما من معنى مجرد من المعقولات يدرك بسبيل غير سبيل المحسوسات، ومن أمثلة هذه الاستعارات التصرّوية الوجوديّة (ontologique) التي تتوسّل بألفاظ عالم الحسّ (المجال المصدر) لبناء عالم المعقولات (المجال الهدف)⁹، ندكّر «جار» التي تعني العدول عن الطريق لتصبح دالة على مفهوم الجور نقيض العدل، و«شرف» التي تعني المكان المرتفع عن الأرض

⁷ الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر، دلالات الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، 1992، ص 54.

⁸ « Les objets les plus simples, les actions les plus ordinaires de la vie quotidienne sont une source inépuisable de notions abstraites » (Joüon, 1926. p. 6.)

⁹ للتوسّع في مبحث الاستعارة التصرّوية (التوليدية) وأصريها، انظر:

LAKOFF, Georges and JOHNSON, Mark, *Metaphors We Live By*, Chicago and London, University of Chicago Press, 1980, 242 p.

لتصبح دالة على معنى المجد، و«دجل» الذي يعني في معناه الحسي الطلي بالقطران (وهو الدجّيل والدُّجالة) للأجرب فصار يدل على التغطية والخداع والغش، وكذلك «دهن» التي يتم تجريد معناها الحسي لتدل على اللين والمصانعة فالغش ومن ثمّ الدهاء. وأضيف إلى هذه الأمثلة معنى الخوف المشتق من الأصل المحسوس الاختفاء، ومعنى الحزبة المشتق من البياض ونقاء الأصل والعرق، وضده العبودية المشتق من معنى السواد. أمثلة كثيرة ومتواترة قد تدفع إلى الجزم بأن كل المعاني المجردة لها أصل حسي وأن إدراك المجرد لا يتم إلا بواسطة من الحسن، كما ذكرنا. كما يصبح عالم المعقولات بدوره عالمًا ماديًا ذا أبعاد حسية بما يمكن من الإحاطة به وإدراكه. وتلعب الأساليب البلاغية من استعارة ومجاز وكناية دورًا أساسيًا في الارتقاء بالمعنى الحسي إلى المفهوم المجرد.

ب. الإطار الشكلي

1. الأصول الثنائية للمعجم العربي

الإطار الشكلي الذي لا يخلو بدوره من جانب دلالي هو إطار الأصول الثنائية للمعجم السامي والعربي خاصة، وما انضوى فيه من النظريات والأعمال والمقترحات يعود أولها إلى سالومون بابنهايم (1740-1814) الذي أعد أول معجم قائم على الأصول الثنائية، وآخرها نظرية المصفوفات والأثول لجورج بوهاس¹⁰ وتلامذته التي صارت تصب اليوم في حقل جديد من الدراسات المعجمية دون الصرفية (submorphémique) النافية لمبدأ الاعتباطية السوسيري. يسمّى الأصل الثنائي أثلاً «*étymon*» ويتركب من حرفين بلا ترتيب.

فالجذور الثلاثية «بتع» و«بتك» و«بتر» و«بتل» التي تعني جميعًا القطع قائمة على الأثل {ب،ت} الذي يتجسد مجرّدًا في الأصلين الثنائيين: «بت» و«تب». ولكن الأثل ليس غاية ما يمكن الوصول إليه من التحليل إذ نجد مستوى أكثر منه تجريدًا وهو المصفوفة «*matrice*» التي تعتمد السمات الصوتية بدل الحروف، فهي توليف من سمتين صوتيتين وثابت تصوري أو مفهومي، وهو آخر مستوى من التجريد وهو أسّ المعجم. مثال ذلك إذا نظرنا في المعطيات السابقة، نجد أنها تجتمع على حرفي الباء والتاء ومعنى القطع. وإذ أضفنا معطيات أخرى تدور على معنى القطع من قبيل: «فأس» و«سيف» و«شفر»

¹⁰ للتعرف على هذه النظرية في آخر أطوارها، انظر:

BOHAS, Georges (avec la participation d'Abderrahim SAGUER), *Les composantes du lexique de l'arabe, entre motivé et non-motivé*, Paris, Geuthner, 2019, 275 p.

صار الأثل {ب،ت} غير كاف لتفسير ترابط جميع هذه الأثول، وهو ما تنهض به المصنوفة: {شفهي}، [تاجي]] التي تدور كلُّ أثولها على مفهوم القطع. فالجامع بين الحرفين الباء والفاء هو السمة [شفهي]، وما يجمع الحروف السين والشين والتاء هو السمة [تاجي].

2. ظاهرة الإبدال في العربية

يجمع المعجم العربيّ بين لغات قبائل وعصور وأمصار مختلفة تحت راية العربيّة، ممّا يفسّر وفرة المترادفات وكثرة الأبدال (Allophones) فيه. ونكتفي منها بالإشارة إلى يتعلّق بمبحثنا وهو إبدال الجيم قافاً، فالجيم والقاف تحقّقان لهجتيّان لحرف واحد، ولذلك لا تجتمع الجيم بالقاف¹¹ إلا في أصل نادر واحد (جقّ) لا يذكره إلا ابن منظور. والجيم في المعجم العربيّ بديل من القاف اللّهويّة [q] والقاف الحنكية المجهورة [g] المميّزة للهجات البدو، بديل الجيم في اللّهجة المصريّة وبعض مناطق اليمن وشرق أفريقيا العربيّ. هذا الإبدال يفسّر الازدواجات التالية:

- «القَفْرُ والقَفْرة» (الخلاء من الأرض) < تنطق في لهجة الجنوب التونسيّ وغرب ليبيا بالجيم: «جفارة».

- «ناقة» تتحقّق بالجيم في صورة الصّفة «ناجية»، وهي النّاقة السريعة ولعلّ أصلها النّاقة بلا فرق.

كما نحتاج إلى استدعاء ظاهرة إبدال الواو فاءً، فنعود إلى بيت ابن شقشق المذكور في مقدمة المقالة والذي يلفت النظر إلى التجنيس بين «مفجوع» و«موجوع». فالواو في «وجع» هي حرف شفهيّ مشارك في هذه الصفة للفاء في «فجع». فلا بدّ أنّ للفتلين «وجع» و«فجع» أصلًا واحدًا، إلا أنّ «فجع» متعدّد بنفسه: فَجَعَهُ يَفْجَعُهُ فَجْعًا، فهو مَفْجُوعٌ وَفَجِيعٌ (اللسان). فهل يعود عدم تعدي «وجع» بنفسه إلى أنّه فعل لا يصدر من الخارج لأنه متولّد من شعور داخليّ؟ هذا السؤال يقودنا إلى التّساؤل عن أصل الوجود والألم في اللغة، وعن طريق اللغة، في التجربة الوجودية للكائن البشريّ، وإن كنّا لا نروم في هذا المبحث بالذات الوصول إلى نتائج موثوق بها. فكلّ بحث في البدايات لا يعدو أن يكون مجرد افتراضات.

وإبدال الواو فاءً وإن ندر معروف في مواضع أخرى من الفصحى ولهجاتها كما في «وين/فين» (أين) في أكثر من لهجة عربية و«وَرَجِيبي/فَرَجِيبي» (أرني، أريني) في الشّاميّة و«فياك» بدلًا من «وياك» (وايّاك) في لهجة بدو أبو ظبي. أمّا في الفصحى فما زلنا نجد لهذا الإبدال أثرًا في حربيّ العطف والاستئناف الواو والفاء المنحدرين من أصل واحد صوتًا ومعنىً.

نخلص بعدّ تهيئة الإطارين الدلاليّ النظري والشكليّ الإجرائي إلى عرض المعطيات المتعلقة بالوجع ثمّ الألم وتحليلها واستخلاص نتائجه ضمن الإطارين المذكورين.

¹¹ «مخرج الجيم والقاف والكاف بين عكدة اللسان وبين اللّهاة في أقصى الفم، والقاف والجيم كيف قلبتا لم يحسن تأليفهما إلا بفصل لازم، وقد جاءت كلمات معرّبات في العربية ليست منها» (ابن منظور، لسان العرب، مادة ق).

أ. الوجع

1. عرض المعطيات المعجمية

في ما يلي المعطيات المعجمية المتعلقة في ظاهرها بمعنى الوجع:

- وجا (لسان العرب)

الوَجَا: الحفا، وقيل: شدة الحفا، وَجِيَ وَجًا وَرَجَلَ وَجٍ وَوَجِيٌّ، وكذلك الدابة.

ابن السكيت: الوَجَا أَنْ يَشْتَكِيَ البعيرُ بَاطِنَ حُقْفِهِ والفرسُ بَاطِنَ حَافِرِهِ. وَوَجِيَ الفرس، بالكسر: وهو

أَنْ يَجِدَ وَجَعًا فِي حَافِرِهِ، فَهُوَ وَجٍ.

يمثل هذا الأصل التحقق المعجمي الأدنى المجرد للأثل {و، ج}، وفي الأصول الثلاثة التالية خضع الأثل

لظاهري لإلحاق (suffixation) والإبدال :

- وجع (لسان العرب)

الْوَجَعُ: اسم جامع لكل مَرَضٍ مُؤَلِمٍ، والجمع أَوْجَاعٌ، وقد وَجَعَ فلان يَوْجَعُ وَيَجَعُ وَيَجَعُ، فهو

وَجَعٌ. وَتَوَجَّعَ تَشَكَّى الوَجَعِ.

بإبدال الواو فاءً، ينشأ البديل المعجمي:

- فجع (لسان العرب)

الفجعية: الرَزِيَّةُ المَوْجَعَةُ بما يَكْرُمُ، فَجَعَهُ يَفْجَعُهُ فَجَعًا، فهو مَفْجُوعٌ وَفَجِيْعٌ، وَفَجَعَهُ، وهي

الفَجِيْعَةُ، وكذلك التَفْجِيْعُ، وَفَجَعْتُهُ المُصِيبَةُ أَي أَوْجَعْتُهُ.

- وجب (مقاييس اللغة)

الواو والجيم والباء: أصلٌ واحد، يدلُّ على سُقُوطِ الشَّيْءِ وَوُقُوعِهِ، ثم يَتَفَرَّعُ.

وَوَجَبَ البَيْعُ وَجُوبًا: حَقٌّ وَوَقَعَ. وَوَجَبَ المِيتُ: سَقَطَ، والقَتِيلُ واجب.

- وجد (مقاييس اللغة)

الواو والجيم والذال، يدلُّ على أصلٍ واحد، وهو الشَّيْءُ يُلْفِيهِ.

- وجد (لسان العرب)

وَجَدَ مطلوبه والشَّيْءُ يَجِدُهُ وَجُودًا وَيَجِدُهُ أَيضًا.

وَالوُجْدُ وَالوُجْدُ وَالوُجْدُ: اليسار والسَّعَةُ.

ووَجَدَ الرجلُ فِي الحَزْنِ وَجْدًا، بالفتح، وَوَجِدُ؛ كلاهما عن اللحياني: حَزِنَ.

وقد وَجَدْتُ فلانًا فأنا أَجِدُ وَجَدًا، وذلك في الحزن.
وتَوَجَّدْتُ لفلان أي حَزِنْتُ له. أبو سعيد: تَوَجَّد فلان أمر كذا إذا شكاه.

- وَجَدَ (القاموس المحيط)

تَوَجَّدَ السَّهَرِ وَغَيْرُهُ: شَكَاهُ.

وفيه معنى الإحساس بالشيء أي وجوده في عالم الحسّ أو في النَّفس، على الوجه الذي جاءت به الآية في سياق «فَقَدْ»: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: 94]

وجس (مقاييس اللغة)

الواو والجيم والسين: كلمة تدلُّ على إحساسٍ بشيءٍ وتسمُّعٍ له. تَوَجَّسَ الشَّيْءَ: أَحَسَّ بِهِ فَتَسَمَّعَ لَهُ.

نجد معنى الوجود هذا في الآية ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ [طه: 67]

وجس (لسان العرب)

- أَوْجَسَ الْقَلْبُ فَرَعًا: أَحَسَّ بِهِ. وَالتَّوَجُّسُ التَّسْمُّعُ إِلَى الصَّوْتِ الْخَفِيِّ.

2. التحليل

نلاحظ أنّ هذه الجذور الثلاثية مشتركة كلّها في أثل ثنائي وهو {و، ج} المقترن بثابت تصوّري هو إدراك الشيء أو قابليّته للإدراك الحسي أو العقلي (المجرّد)، فالوجا والوجع هما الإحساس بالألم، و الوجد كذلك، والوجود هو الكون في حيز الحسّ أو التصوّر وكذلك الوجود، والوجس هو تحسّس وجود شيء بالسمع.

ونلاحظ أنّ معنى الوجود المجرّد في «وجب» و«وقع» قد استُعِين عليه بمعنى الوقوع أي السقوط، إذ يُقال «الواقع» بمعنى العالم الموجود الواجب المتحقّق. نجد هذه الاستعارة الوجودية - الاتجاهيّة أيضا في الفرنسية في الفعل « وقع، سقط (tomber) »¹² وكذلك في الإنجليزية في معنى الفعل (to befall)¹³ للتعبير عن حدوث الأمر.

¹² « Tomber [...] : [Souvent avec une idée de hasard] Arriver, survenir, se présenter, se retrouver quelque part. » المصدر:

« Tomber, verbe. » TLFi, s.d, TLFi : Trésor de la langue Française informatisé, ATILF - CNRS & Université de Lorraine, <http://stella.atilf.fr/Dendien/scripts/tlfiv5/visusel.exe?23;s=3308927685;r=2;nat=;sol=1>; consulté le 04 janvier 2022.

¹³ « befall, v.[...] 4. To fall out in the course of events, to happen, occur »

المصدر:

"befall, v." OED Online, Oxford University Press, December 2021, www.oed.com/view/Entry/17027. Accessed 4 January 2022.

إذا وضعنا في اعتبارنا خاصية الإبدال، نجد أن فِعْلًا:

وقع (لسان العرب)

- وَقَعَ عَلَى الشَّيْءِ وَمِنْهُ يَقَعُ وَقَعًا وَوُقُوعًا: سَقَطَ،

منبن على نفس الأثل {و، ج} المقترن بمفهوم الإدراك بإبدال الجيم قافًا {و، ق} كما قدّمنا. نذكر أن لهذا الأثل بديلًا آخر على مستوى الواو {ف، ج} المتحقق في «فجع». ونجد أنثًا ثالثًا يجمع البديلين الفاء (للواو) والقاف (للجيم) وهو الأثل {ف، ق} الملازم لمعنى الفقد ضدّ الوجود. ويتمثل التحقق الثنائي الأدنى للأثل {ف، ق} بديلًا للأثل {و، ج} في الجذر «فوق» بإقحام واو في وسطه:

فوق (لسان العرب)

- الْفَاقَةُ: الْفَقْرُ وَالْحَاجَةُ، وَلَا فَعَلَ لَهَا.

وافتاقت الرجلُ أي افتقر، ولا يقال فاق.

ومن هذا الأثل اشتقّ الجذران الثلاثيان بواسطة إحقاق حرف ثالث:

فقد (لسان العرب)

- فَقَدَ الشَّيْءَ يَفْقِدُهُ فَقْدًا وَفِقْدَانًا وَفُقُودًا، فَهُوَ مَفْقُودٌ وَفَقِيدٌ: عَدِمَهُ؛ (ضدّ الوجود)

وكذلك:

فقر (لسان العرب)

- الْفَقْرُ وَالْفُقْرُ: ضِدُّ الْغِنَى، الْمَقْتَرَنُ بِالْوُجْدِ كَمَا رَأَيْنَا.

ولا يفوتنا أن نذكر هنا بسياق «الفقد» الذي ورد فيه فعل «وجد» في الآية 94 من سورة يوسف. «فقد» و«فقر» فعلاّن ضدّان لـ«وجد» بيد أنّهما مشتقان من الأثل نفسه، فنحن إذا إزاء أثل يقع على المعنى وضده، وهذا من التّضادّ (énantiosémie).

أمّا العين في آخر «وجع» و«فجع» فقد تكون لاحقة دونصرفية (submorphémique) تدلّ على الشدّة وقد بيّنا ذلك في مقال لنا (أخشوم، 2017) الذي منه نسوق المثالين التاليين: قَطَّ < قطع، فظَّ < فطع، هرب/هرع، فالقطع أشدّ من القَطِّ، والفضاعة أشدّ من الفظاظلة، والهرع أشدّ من الهرب.

3. النتائج

ما يمكن أن نستخلصه من هذه العلاقات اللفظية والدلالية التي كشفنا عنها بفضل الاعتماد على الجذور الثنائية (الأثول) والبدايل الصوتية، هو أن الوجد ليس الألم كما ذهب إلى ذلك المعاجم بل الشعور به بمعنى وجدانه في الجسد أو النّفس.

والنتيجة الثانية هي أن الوجود على الوجود في العالم. فالوجع هو الأثر الحسيّ لمعنى الوجود المجرد، بمعنى أنه لا دليل على الوجود دون وجع، فهو الشعور أو الإحساس بالكينونة بامتياز. أقتبس هنا للبرهنة على دلالة الوجود على الوجود، تلك العبارة المتداولة في الفرنسية:

(اقرصني/اقرصيني، أنا أحلم! Pince-moi, je rêve) وما يقابلها من المتداول في الإنجليزية: (Pinch me, I'm dreaming). وهذا مقتطف من رواية (فصول قبل الربيع) للكاتبة اليمينية نبيلة الوليدي: «هل أنا في حلم؟ جمال فضلاً... اقرصني بقوة لأصدّق بأنني لا أحلم... ضحك جمال ومدّ يده وقرصها على خدها قائلاً:

- بل صدّقي... وأفيقي...» (ص 192)

فالإحساس بالألم هو علامة على الوجود في عالم الواقع، ولذلك قلنا عنواناً لهذا المبحث: «أنا موجوع إذًا أنا موجود». فكما كان التفكير لدى ديكرت علامة على الوجود، كان الإحساس عامّة والإحساس بالوجع خاصّة دليلاً على الوجود وخيطاً يربطنا به.

وإذا كان أصل الوجود هو الوجود، فما قد يكون أصل الوجود؟ ما هي أول تجربة قد يكون الإنسان عرف بها معنى الوجود وأحسّ بوجوده؟

إذا عدنا إلى الأثر البديل {و، ق} للأثر {و، ج} (المتحقّقين في وجع/وقع)، قد يكون حادث السقوط هو أول مصدر لوجدان الألم في تجربة الإنسان في العالم / الواقع بمعنى الوجود. فتجربة الوقوع بمعنى السقوط في العالم الحسيّ هي وقوع بمعنى الوجود في العالم المجرد.

وقد يكون الجوع نقيض الشبع القائم لفظه على الأثر {و، ج}، أول تجربة للألم وقع تعميمها وتجريدها للدلالة على كل تجارب وجدان الألم في الحياة. أفلا نلاحظ أنّ الأصل الثلاثي «جوع» يبدو تقليباً للأصل «وجع»؟

أمّا الوجد/الوجد النفسي المجرد فقد يكون أصله الحسيّ تجربة الفقد (ولد أو حبيب) القائم على الأثر البديل {ف، ق} > {و، ج}. بإبدال الواو فاءً والجيم قافاً، وقلب المعنى، فالأضداد وهي ينفي بعضها بعضها يُثبّته، فلا وجود بلا فقد ولا فقد بلا وجود/وجد. كما قد يكون أصله تجريد الإحساس بالضرّ الجسديّ وتوسيعه إلى الحيّز الرّوحي أو النفسيّ، فيصبح الجسد حينئذٍ استعارة للعبور إلى النفسيّ وتعبيره.

ب. الألم

قد بيّنا أنّ الوجد هو الإحساس بالألم ووجدانه، وليس هو إياه. وجعلنا بينهما علاقة غير علاقة الترادف التي نجدها في بعض المعاجم. فما هو أصل الألم في ضوء الأطر النظرية الدلالية والشكلية نفسها؟

هنا نذكر بأن العربية إضافة إلى أنها تتوسل بالمعاني الحسية لتصوير المعاني المجردة لغة ذات جذور ثنائيتة لا اعتباطية نشأ الكثير منها محاكاةً لأصوات الطبيعة. هذه المفردات الحاكية للأصوات (onomatopées) تجرّدت وصارت دليلاً على معانٍ مجرّدة، كصوت الحنين للناقة الذي صار دالاً على معنى الحنين.

فلننظر في المعاجم العربية لنرى إن كانت لا تزال تحتفظ بأثر يقودنا إلى أصل الألم.

1. عرض المعطيات المعجمية

ألم (مقاييس اللغة)

الهمزة واللام والميم أصل واحد، وهو الوجد.

ألم (الصّحاح)

الألم: الوجد.

ألم (لسان العرب)

الألم: الوجد، والجمع آلام.

نلاحظ أن المعاجم المذكورة تجعل الألم مرادفاً للوجد، لكنّ فهم مادة «ألم» لا يكتمل إلا بإضافة المعطيات التالية :

أل (لسان العرب)

الأل: الصّيحاح. ابن سيده: والألُّ والأليلُ والأليلة والأليلة والألّانُ كلة الأنين، التهذيب: الأليل

الأنين وقد ألَّ يئلُ وألَّ يؤلُّ ألاً وأللاً وأليلاً: رفع صوته بالدعاء.

والأليلُ والأليلة: الثُّكُلُ (فقدان الحبيب ويُخص به الولد، كأنه يذكّرنا بالأصل «فقد»)

ولول (لسان العرب)

وَلَوْلَتِ الْمَرْأَةُ: دَعَتْ بِالْوَيْلِ وَأَعْوَلَتْ، وَالاسْمُ الْوَلْوَالُ.

الْوَلْوَلَةُ: صَوْتُ مُتَتَابِعٍ بِالْوَيْلِ وَالِاسْتِغَاثَةِ، وَقِيلَ: هِيَ حِكَايَةُ صَوْتِ النَّاحَةِ.

وَوَلْوَلَتِ الْفَرَسُ: صَوَّتَتْ.

وَالْوَلْوَلَةُ الْإِعْوَالُ وَأَصْوَاتُ النِّسَاءِ بِالْبُكَاءِ.

2. التحليل

يمكننا في ضوء ما سبق عرضه أن نستخرج أثلاً {أ، ل} حاكياً للصوت (من الأوائل المعجمية) ذا بديلين {و، ل} أو {أ، ن} يدلّان على صوت.

إبدال الهمزة من الواو معروف (أكّد، وكد) وكذلك إبدال النون من اللام: هتّل/هتل، رفن/رفل، دجل/دحن، رهدل/رهدن، نغية/لغية، لمق/نمق، إسماعيل/إسماعين، جبريل/جبرين، عزائيل/عزايين، وفي اللهجات: ماجل/ماجن (مأجل)، كسرونة/casserole (قدر)، برتقال/برتقان.

وقد أكد الوزير المغربيّ في (أدب الخواصّ) شيوع هذه الظاهرة في كلام العرب: «وإبدال اللام من النون كثير من كلامهم، مثل لمق الكتاب ونمقه - وهتن وهتل، وأدكنّ وأدكل - من الألوان - وغير ذلك مما لو ذهبنا إلى استقصائه لاحتاج إلى جزء مفرد نجرده له».¹⁴

أما زيادة الميم آخرًا فمعروفة في الرّباعي (أزرق/زرقم، حلق/حلقوم، فسحم/فسح، بلع/بلعم، زرد/زردم...)، ويبدو أنّ الميم استخدمت أيضًا لاحقةً دونصرفية للمرور من الثنائيّ إلى الثلاثيّ: جزّ/جزم، هدّ/هدم، لكّ/لكم، صدّ/صدم...

3. النتائج

يتبيّن لنا أن الأصل «ألم» قابل للتحليل إلى أثل {أ، ل} و ميم دونصرفيّة (submorphémique) زائدة. أما دلاليًا، فإننا نذهب بناء على العلاقة بين «ألّ/نّ» و«ألم» إلى أنّ الأليل والأنين وهما صوت التوجّع هما الأصل الحسّي لمفهوم الألم. إذ تمّ بواسطة من الكناية العبور من اللفظ الحاكي للصوت إلى المعنى الذي يلزم من إطلاق ذلك الصوت، وهو الوجع. فإذا كان الوجع وجدانَ علةٍ والإحساسَ بها، فإنّ الألم هو الصّوت الذي يعبر عن وجدان تلك العلة ويعلم الغير بوجودها (الشكوى). فأصلُ الألم إذاً صوتُ شكوى الوجع الذي هو وقوع العلة ووجدانها. وقد تعود هذه الصّلة إلى أوائل نشأة التواصل اللغوي بأصوات بسيطة غير مقطّعة ولا لفظيّة لا تدلّ على معنى ولكنّ تنبئ عن حال.

إضافة إلى الصلة الدلالية بين الوجع والألم، نجد بين الأصليين/الأثلين صلة سيميائية خفية أخرى تبدو في أنّ الولولة حكاية صوت النائحة والثكلى الفاقدة لولد أو عزيز، ولقد سبق أن وجدنا بين الفقد {ف،ق} باعتباره بديلاً للأثل {و،ج} والوجد والوجع علاقة وجدناها في سورة يوسف.

خلاصة عامّة

توسّلت العربية من خلال الاستعارة تصوّرية بالمعاني الحسيّة لمقاربة المعاني الذهنية المجرّدة، فصار الوجع دليلاً إيجاباً على الوجود وسلباً على الفقد، وصار الصوت الذي يصدر عن المتوجّع واجداً أو فاقداً أو واقعاً أو حتى جائعاً (إذا اعتبرنا أن أصل الوجع إمّا الوقوع أو الشعور بالجوّع) هو المفهوم نفسه أي

¹⁴ الوزير المغربي، أبو القاسم، أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، 1980، ص 123.

الألم. فإذا كان الوجد هو وجدان العلة ووقوعها فإن الألم إعلام بها وشكوى منها بواسطة الأَلّ والأليل والأئين والولولة. ونعتقد أنّ ارتباط الألم بالصوت المنبئ عن الوجد عائد إلى طور متقدّم من أطوار نشأة اللغة.

ولقد وقفنا في دراسة كلا الأصلين «وجد» و«ألم» باعتبارهما دالّين على أنّ مدلولهما الحسّي (الإحساس لـ«وجد»، والصوت لـ«ألم») يصير بدوره دالّاً لمدلول مجرّد هو معنى المعنى. ويتمّ هذا العبور من الحسّي إلى المجرّد عن طريق الاستعارة الوجودية والكنائية, ونعتقد أنّ هذا حصل في طور متأخّر من نموّ الملكة اللغويّة وتطوّر القدرات العرفانية.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- القرآن، رواية ورش عن نافع المدني، مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1412 هـ.

- ابن الدمياطي، أبو الحسين أحمد، الاستفادة من ذيل تاريخ بغداد، الجزء 21 (218 ص) ضمن: تاريخ بغداد وذيوله، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، 1417 هـ-2011 م، 24 ج، 9872 ص.

- المتنبّي، أبو الطّيب الحسين، الديوان، دار الجيل-بيروت، د.ت.

- الوليدي، نبيلة، فصول قبل الربيع، دار رواية، لندن، 2013، 222 ص.

المراجع

العربيّة:

- ابن مكي، أبو حفص عمر، تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، ضبط مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، 1990، 580 ص.

- ابن هشام اللخمي، أبو عبد الله محمد، المدخل إلى تقويم اللسان، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، 2003، 660 ص.

- مختار عمر، أحمد، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب، القاهرة، 2008، 1381 ص.

- الوزير المغربي، أبو القاسم الحسين، أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، 1980، 149 ص.

- الجرجاني، أبوبكر عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، 1992، 684 ص.

الأجنبية:

- JOÜON, Paul, « Études de sémantique arabe », dans : *Mélanges de l'Université Saint-Joseph*, tome 11, 1926. pp. 1-36.

- KHCHOUM, Salem, « Le 'ayn final dans le lexique de l'arabe : un suffixe submorphémique intensif », dans : *Langues et Littératures du Monde Arabe*, UMR ICAR - ENS éditions, 2017. (hal-02500575)

- LAKOFF, Georges and JOHNSON, Mark. *Metaphors We Live By*. Chicago and London : University of Chicago Press, 1980. 242 p.

القواميس:

العربية:

- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية، 1972، 5مج.

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، بيروت-لبنان، دار صادر، الطبعة الثالثة، 1994، 15 مج.

- الجوهري، أبو نصر إسماعيل، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت-لبنان، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، 1987، 6 مج.

- الفيروزآبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد، القاموس المحيط...، تحقيق مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، بيروت-لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثامنة، 2005، 1357 ص.

الأجنبية:

موارد معجمية رقمية على شبكة الأنترنت:

- OED Online, Oxford University Press, December 2021, www.oed.com.

Accessed 4 January 2022.

- TLFi : Trésor de la langue Française informatisé, ATILF - CNRS & Université de Lorraine, <http://stella.atilf.fr>. Consulté le 04 janvier 2022.